مركز دراسات تفسير الإسلام
CENTRE FOR STUDIES IN THE INTERPRETATION OF ISLAM

سلسلة بحوث النشر الإلكتروني (١)

الرد على من زعم أن الإنسان خليفة عن الله تعالى

فصلٌ نفيسٌ من كلام شيخ الإسلام أبي العباس أحمد ابن تيميَّة النُّميريِّ (ت: ٧٢٨)

إعداد:
أنس بن عبد الرزاق الخليفة

١٤٤٧ - ٢٠٢٥

الردُّ
على
مَنْ زَعَمَ أنَّ الإنسان
خليفة عن اللّه تعالى

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م

مركز دراسات تفسير الإسلام

Centre for Studies in The Interpretation of Islam

1 Kamloops Crescent, Leicester

LE1 2HX, United Kingdom

www.csiislam.org info@csiislam.org

الردُّ على مَنْ زَعَمَ أنَّ الإنسان خليفة عن اللّه تعالى

فَصْلٌ نفيسٌ من كلام شيخ الإسلام

أبي العباس أحمد ابن تيميَّة النُّميريِّ

(ت: ٧٢٨) رحمه اللّه وأجزل له المثوبة

أفرده بالنشر وأعدَّه وقدَّم له:

أنس بن عبد الرزاق الخليفة

غفر اللّه له ولوالديه وللمؤمنين والمؤمنات

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس الإجمالي

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٧
تمهيد في بيان انتشار هذه المقولة عند المعاصرين	١٥
فصل في نبذ من كلام العلماء في المراد من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾	٢٠
فائدة في سؤال الملائكة: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾	٣٤
فصْلٌ في الردِّ على من زعم أن الإنسان خليفة عن الله تعالى لشيخ الإسلام	٣٨

مقدمة

الحمد للّه، والصلاة والسلام على رسول اللّه، نبيِّه محمَّدٍ وعلى آله وصحبه ومن تبعه ووالاه.

أما بعد: **فقد «انطلقت مقولة: (الإنسان خليفة عن اللّه في أرضه)، دون تبصُّر بمعناها، ولا تفكُّر في دلالاتها، ثم راجت رواجًا واسعًا، حتى غدَت من المسلَّمات لدى الكثيرين من أهل الفكر، وصارت على ألسنة كثيرٍ من المتحدثين بمثابة القضايا الأولية من قضايا الفكر الديني.**

ونجدها فيما كتب الشيخ السيد رشيد رضا[(١)]، والأستاذ المودودي[(٢)]، وسيد قطب[(٣)]، وآخرين كثيرين، حتى أخذت ألسنة

---

(١) انظر: تفسير المنار ١/٢١٦ ـ ٢١٧، لمحمد رشيد (ت: ١٣٥٤)، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٠م.

(٢) انظر: نظام الحياة في الإسلام، للمودودي، ص ٢٧، دمشق، دار الفكر الإسلامي الطبعة الثانية ١٩٥٨م.

(٣) في الأصل (الشهيد سيد قطب) وحذفت كلمة الشهيد، لأنه لا يصح إطلاق لفظ الشهيد هكذا مطلقًا إلا بنص من كتاب أو سنة، فقد بوَّب البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد والسِّيَر (٧٧) باب: لا يقول: فلان شهيد، قال أبو هريرة، عن النبي ﷺ: «اللّه أعلم بمن يجاهد في سبيله»، «اللّه أعلم بمن يُكلَم في سبيله». وانظر كلام سيد قطب في «الظلال» ١/ ٥٧ ـ ٥٨.

بعض العلماء المنهجيين تطلقها اتباعًا وتقليدًا، دون بحثٍ عن جذور فكرتها، ودون بحثٍ عن مصدرها وأسانيدها النصية أو العقلية المنطقية، وتلقَّفها بعض الاقتصاديين فاعتبروها من القضايا الأساسية التي يبنون عليها كثيرًا من بحوثهم في الاقتصاد.

إنها مقولة برَّاقة في ظاهرها، تُعجب غُرور الإنسان، ولكنها باطلة في حقيقتها، وهي تتعارض مع أسس مفاهيم العقيدة الإسلامية»[(١)].

ولهذا فما كان من المحققين من أهل العلم إلا الوقف والتصدي لهذه العبارة المستهجنة[(٢)] فجاء هذا الفصل النفيس الذي نفرده بالنشر والتقديم من كلام شيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبد السلام بن تيميَّة النميري الحراني (ت: ٧٢٨) ـ رحمه اللّه تعالى ـ في الردِّ على من يزعم أنَّ (الإنسان خليفة عن اللّه تعالى) حيث أطلقه غلاة الصوفية بناء على عقيدتهم الباطلة في الحلول والاتحاد[(٣)].

---

(١) قاله الشيخ عبد الرحمن حسن حبنَّكة الميداني (ت: ١٤٢٥) رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمة رسالته «لا يصح أن يقال الإنسان خليفة للّه في أرضه فهي مقولة باطلة» نشرت عام ١٤١١/ ١٩٩١.

(٢) أطلق عليها ذلك الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ كما سيأتي.

(٣) قال الشيخ محمود مهدي الإستانبولي (ت: ١٤٢٠) رَحِمَهُ اللَّهُ: «**ولا شكَّ أنَّ فكرة خلافة الإنسان للّه في الأرض مأخوذةٌ عن نظرية الحلول والاتحاد ونظرية القطب الغوث لغلاة الصوفية. فقد قال أبو الحسن الشاذلي: «للقطب خمسَ عشْرَة علامة، عدَّد منها أن يُمَدَّ بمدد العصمة، والخلافة ـ وهو أن يكون خليفة اللّه في الأرض ـ والنيابة ـ وهي أن يكون نائبًا عن الحق في تصريف الأحكام». إلى غير ذلك من صفات الألوهية،**=

هذا وإن كثيرًا من العقائد الغالية عند الصوفية وغيرهم كادت أن تنقرض وتزول إلا أن كثيرًا من العبارات والمصطلحات تأخذ بالتجدد من حين لآخر وتردِّدها الألسنة دون إدراك لجذورها القديمة وأثارها الخطيرة، وهي وإن لم تكن تحمل نفس المعتقدات السابقة تمامًا ووضعت لها معانٍ جديدة بعضها صحيح وبعضها فاسد، إلا أنَّ أقل ما يقال عنها أنها من المناهي اللفظية[1] فكيف إذا حملت معاني باطلة؟!.

ومن أمثلة ذلك العبارة السالفة: (الإنسان خليفة اللّه أو عن اللّه في الأرض)؛ فهي وإن لم يحمل قائلها معتقد أهل الوحدة والحلول وبعض أهل العلم أجازها بقيود إلَّا أنَّ كثيرًا من المفكرين والحركيين ومن تأثر بهم حمَّلوها معاني باطلة فيها تحريف خطير للغاية التي خُلِق لها الإنسان، فتجدها بكثرة على ألسنتهم وكتاباتهم، فيجعلون الغاية من خلق الإنسان هي كونه خليفة عن اللّه في عمارة الأرض وتحقيق الحكومة الإلهية زعموا، ومن ثمَّ فرَّعوا على ذلك بجعل العبادات ـ وبالأخص أركان الإسلام الأربعة (الصلاة والصوم والزكاة والحج) ـ وسائلَ تدريبية لتحقيق تلك الخلافة والحكومة، فأصبحت بعض القضايا كالعدل والتعاون بين

= **تعالى اللّه عما يقولون علوًّا كبيرًا!**» انظر مقال الشيخ في مجلة الوعي الإسلامي الكويتية، العدد (٢٣) ذو القعدة (١٣٨٦) - فبراير (١٩٦٧م). وما نقله عن الشاذلي، انظر: «معراج التشوف إلى حقائق التصوف» ص ٤٩-٥١ باختصار نقلًا عن كتاب «التصوف بين الحق والخلق» للأستاذ محمد فهر الشفقه (ص ١٠٠).

(١) أدرجها الشيخ بكر أبو زيد (ت: ١٤٢٩) رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه النافع المفيد: «معجم المناهي اللفظية» (ص ٢٤٧).

الناس، ومحاسن الأخلاق، والسياسة العادلة، والازدهار والعمران، وقوانين الحكم الاجتماعي، والمعاملات ـ على أهمية كلٍّ ذلك بحسبه ـ هي الغايات الأساسيَّة والمقصد من خلق الخلق، فتجدهم يصرِّحون في مقالاتٍ ومنشوراتٍ ورسائلَ لا تحصى أنَّ الصلاة غايتها تعليم للنظام والانضباط، والصوم تدريب على تهذيب النفس، والزكاة تكافل اجتماعي، والحج مؤتمر عام لمناقشة قضايا الأمة!!، وقس على ذلك[1]، وفي هذا تحريفٌ خطيرٌ وقلبٌ لمفهوم الدين والتديُّن الذي يقوم على أصل أصيل هو التعبد للّه وحده لا شريك له بما شرعه على هدي نبيه ﷺ.

فعبادة اللّه وذكره أمر لا يمكن للمسلم بأي وقت من الأوقات ولا بأي حال من الأحوال أن يُحال دونه أو يُمنع عنه مادام عقله معه، فحتى في أحلك الظروف والأحوال وهو الإكراه على الكفر لا يعذر المسلم بترك الإيمان القلبي وعبادة القلب الذي هو أصل الإيمان، ويعذر فيما يظهر من ذلك في جوارحه ولسانه قال تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦﴾ [النحل].

فذكر اللّه وعبادته وحده لا شريك له محبةً وخوفًا ورجاءً هي

(١) يقول كبيرهم أبو الأعلى المودودي: «**إن الصلاة والصيام والزكاة والحج كلها للتربية، كما أن دول العالم تقوم أولًا بتربية شعوبها للجيش والشرطة والأعمال المدنية ثم تستخدمهم فيها، كذلك الدين الإسلامي يربي بطريقة خاصة من يدخل فيه ويتجند لخدمته، ثم يستخدمه للجهاد والحكومة الإلهية**» خطبات (ص: ٢١٥).

قطب الرحى الذي يدور عليه أمر الإسلام والدين وهي معنى شهادة (لا إله إلا اللّه) وكل ما عدا ذلك فإنَّما هي أمور تحكمها الظروف والإمكانات ثم هي مع ذلك لم تشرع إلا لأجل تحقيق تلك الغاية النبيلة والهدف المنشود[1]، وأعظم ما تظهر فيه عبادة اللّه وذكره هي أركان الإسلام فهي عبادات مقصودة لذاتها وكل ما يقال وينشر من فوائدها النفسية والصحية والاجتماعية والسياسية لا تعدو أن تكون ـ إن صحت ـ ثمراتٍ تفضَّل اللّه بها على عباده ترويحًا لهم وتيسيرًا عليهم، فهي بذلك تَبَع وليست مقصودة لذاتها.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥] فإن الصلاة فيها دفع للمكروه وهو الفحشاء والمنكر وفيها تحصيل المحبوب وهو ذكر اللّه، وحصول هذا المحبوب أكبر من دفع المكروه، **فإن ذكر اللّه عبادة للّه وعبادة القلب للّه مقصودة لذاتها، وأما اندفاع الشر عنه فهو مقصود لغيره على سبيل التبع**»[2].

وقد قال تعالى في بيان الغاية التي خلق لأجلها الإنس والجن: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات]، وقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة]، وقال رسول اللّه ﷺ: «**إن اللّه عَزَّوَجَلَّ قال: إنَّا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة...**»[3].

---

(١) انظر لزامًا موقع «**مركز دراسات تفسير الإسلام**» على الشبكة العنكبوتية https://www.csiislam.org فهو موقع متخصص بهذا الموضوع.

(٢) مجموع الفتاوى» ١٠/١٨٨.

(٣) انظر: «السلسلة الصحيحة» (١٦٣٩).

هذا وقد انبرى عدد من العلماء قديمًا وحديثًا[1] في ردِّ على هذه العبارة الزائفة (الإنسان خليفة اللّه) ومن المعاصرين من أفردها بمقالاتٍ ورسائلَ، منهم:

الشيخ محمود مهدي الإستانبولي (ت: ١٤٢٠) رَحِمَهُ اللَّهُ في مقاله «**هل الإنسانُ خليفةُ اللّهِ في الأرض**» المنشور في مجلة الوعي الإسلامي الكويتية، العدد (٢٣) ذو القعدة (١٣٨٦) فبراير (١٩٦٧م).

والشيخ محمد إبراهيم شقرة (ت: ١٤٣٨) رَحِمَهُ اللَّهُ في مقاله «**معنى خلافة الإنسان في الأرض**»[2] **في كتابه «تنوير الأفهام إلى بعض مفاهيم الإسلام»** (ص: ١٧٧).

والشيخ عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني (ت: ١٤٢٥) رَحِمَهُ اللَّهُ في رسالته «**لا يصح أن يقال الإنسان خليفة للّه في أرضه فهي مقولة باطلة**» نشرت عام ١٤١١/١٩٩١.

ولأهمية هذا الموضوع أفردت هذا الفصل النفيس من كلام شيخ الإسلام في رد هذه العبارة (**الإنسان خليفة عن اللّه تعالى**)، وهو من كتابه الفذ العجيب «**بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية**» (٦/٥٨٩ - ٦١١).

وقد ردَّ رَحِمَهُ اللَّهُ هذه العبارة في عدَّة مواطن من كتبه[3] وكان

---

(١) كما سيأتي ذكره.

(٢) وهو منشور مفردًا في قسم المقالات في موقع «**مركز دراسات تفسير الإسلام**» فانظره.

(٣) انظر: «منهاج السنة النبوية» ١/٥٠٩، ٧/٣٥٢، و«مجموع الفتاوى» ٣٥/٤٤، و«الاستغاثة» ص ١٣٦.

هذا الفصل أجمعها وأوسعها فيما علمتُ، وهو كعادته رَحِمَهُ اللَّهُ إذا بحث بحثًا لا يدع لقائلٍ مقالًا في بيان جميع الوجوه الممكنة، وربطها بما لا يخطر على بال الكثيرين بمسائل من الدين مهمة، كما فعل في رده هذه العبارة حيث جعلها نظيرة لشرك المشركين في اتخاذهم وسطاء يعبدونهم من دون اللّه فاسمع إليه إذ يقول: «**ونظير هذا الإشراك ـ الذي يجعل فيه العباد خلفاء عن اللّه ونوَّابًا عنه تشبيهًا لذلك بالخلافة والنيابة عن الملوك ـ ما يوجد في كثير من الناس المشركين من تشبيههم لمسألة اللّه ودعائه وعبادته بمسألة الملوك...**» ثم بيَّن وجه ذلك. وهذا ديدنه رَحِمَهُ اللَّهُ في ربطه كثيرًا من الانحرافات العقدية بمسألة العبادة والتوحيد، فهذه القضية نصب عينه في غالب بحوثه الاعتقادية، مما يُظهر أنها ـ وهي كذلك ـ محور الدين وقطبه الذي يدور عليه، وأنَّ أيَّ خلل في مسائل الاعتقاد فلابد أن يكون له أثرٌ في الخلل بتوحيد العبادة وإفراد اللّه بغاية المحبة والإجلال والتعظيم[1].

ولأهمية هذا الفصل، قمتُ بإفراده للنشر، فخرَّجت الأحاديث من مصادرها، وعزوت الآيات إلى سورها، وقابلته على المخطوط[2] فصحَّحت بعض كلماته، ووضَّحت في الحاشية بعض

---

(١) انظر بحث: «**الخلل في أصول الاعتقاد وأثره في توحيد العبادة من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ **(عقيدة نفي الصفات نموذجًا)**» لكاتب هذه السطور.

(٢) قابلته على مخطوطتين، الأولى: مخطوطة ليدن في هولندا رقم: (٤٧٧)، ق/ ٨٤ أ ـ ٨٨ أ، والثانية: مخطوطة الكواكب الدراري لابن عروة الحنبلي من محفوظات الظاهرية رقم: (٥٧٠)، ق/ ١٩٩ أ ـ ٢٠١ أ.

عباراته. وقدَّمت له بمقدمة موجزة ومهدت له بذكر انتشار هذه الكلمة بين المتأخرين، ورددت على تحريفات بعض الحركيين، وعقدت فصلًا في ذكر نُبذ من كلام العلماء القدامى والمعاصرين في المراد من كلمة (الخليفة) في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] وردِّ هذه العبارة المنكرة (الإنسان خليفة اللّه).

واللّه من وراء القصد

وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين

وكتبه

أبو حمزة أنس بن عبد الرزاق الخليفة

غفر اللّه له

١٠ رجب ١٤٤٦ الموافق ٢٠٢٥/١/١٠

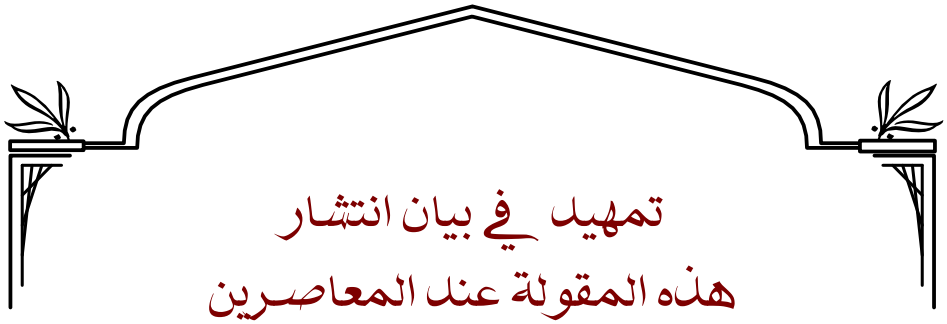

تمهيد في بيان انتشار هذه المقولة عند المعاصرين

لقد شاع في عصرنا القول بأن الإنسان خليفة اللّه في الأرض، حتى صار من المسلَّمات عند كثيرٍ من المشايخ والدعاة، وقد تكلم الشيخ عبد الرحمن حسن حبنَّكة (ت: ١٤٢٥) في رسالته سالفة الذكر عن كيفية انتشارها في العصر الحديث وأعلام من نشرها فقال:

«ثم جاء الشيخ **رشيد رضا** في تفسير المنار، معبِّرًا عن رأي شيخه الشيخ **محمد عبده**، فوسع الدائرة، وزحف زحفًا تعميميًّا في التأويل[(١)]، فرأى أنَّ الإنسان كله خليفة عن اللّه في الأرض... **ثم اعتبر الأستاذ المودودي فكرة أنَّ الإنسان خليفة عن اللّه في أرضه إحدى المبادئ في الفكر الديني**، وانساق **سيد قطب** فأطلق الفكرة بعبارة خليفة اللّه في أرضه...»[(٢)].

وأكتفي هنا بنموذجين أحدهما من العلماء، والآخر من الدعاة:

---

(١) أراد تأويل من تأوَّل من العلماء بأن المراد بالخليفة في الآية: آدم ومن كان قائمًا بطاعة اللّه وتنفيذ حكمه في الناس من الملوك والحكام خاصة.

(٢) «لا يصح أن يقال الإنسان خليفة للّه في أرضه فهي مقولة باطلة» ص ٤٤ ـ ٤٦.

فالأول: هو الشيخ محمد عبد اللطيف السبكي (١٣١٤-١٣٨٩ / ١٨٩٦-١٩٦٩)، وكان من علماء الأزهر، وتولى منصب شيخ الحنابلة بالأزهر، وشيخ كليَّة الشريعة، ورئيس لجنة الفتوى بالأزهر، وعضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميَّة، وعضو هيئة كبار العلماء.

قال: «وإنما أقصد ـ في إجمال ـ إلى ما شرع اللّه لحماية المجتمع، **من دين وقوة، فكلاهما وسيلة** تلتقى مع الأخرى عند غاية واحدة: هي أولًا تهذيب الإنسان حتى يكون في الوضع الذي امتاز به بين الكائنات، **خليفة عن اللّه سبحانه في عمارة دنياه**، ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾»[1].

والثاني: الداعية الإخواني الحركي والناشط السياسي **حازم صلاح أبو إسماعيل**:

قال سائلًا ومجيبًا: «ما هو الهدف من خلق البشر؟ يقول اللّه تبارك وتعالى عن المهمة التي خلق البشر من أجلها: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ويقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾، ولكن العبادة أنواع، الملائكة يعبدون بطريقة، والجن يعبدون بطريقة، والبشر يعبدون بطريقة، فطريقة البشر عبارة عن أصناف من العبادة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾، **من أعظم هذه الأصناف ومن أميزها ومن أخصها بالإنسان ومن ألصقها به والتي من أجلها خلق الإنسان أن يكون خليفة عن اللّه في الأرض**،

(١) مقال «الدين والقوة وسيلتان إلى غاية واحدة»، مجلة الأزهر، المجلد ١٤، سنة ١٣٧٢/١٩٥٢، ص ١٥٥.

قال اللّه ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾»[1].

قلت: وفي كلام (أبو إسماعيل) تحريفٌ خطير لا أساس له ولم يقل به أحد من السلف، لأنَّ قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ليس فيها إلا الإخبار عن صفة من صفات هذا المخلوق البشري ولم يفهم منها الملائكة مهمَّة حصريَّة لوجوده فلذلك تساءلوا عن سبب وجود (خليفة) يفسد فيها ويسفك الدماء، بخلاف قوله تعالى الصريح الذي جمع بين النفي والإثبات المفيد للحصر والقصر فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾، وجعلِ (أبو إسماعيل) أعلى أصناف العبادة التي لأجلها خلق اللّه الإنسان هي أن يكون خليفة عن اللّه في الأرض، فيه مخالفة صريحة لإجماع الأمة أن أعلى أنواع العبادة هي أركان الإسلام الخمسة والحديث المتفق عليه[2] عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا اللّه وأنَّ محمدًا رسول اللّه، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان**». صريح في هدم هذا التأويل، بل التحريف، وأين ذكر هذه العبادة، بل أعلى أنواعها كما يصرح (أبو إسماعيل) عندما جاء ذلك الأعرابي يسأل رسول اللّه ﷺ عن الإسلام؟! فعن طلحة بن عبيد اللّه قال: جاء رجل إلى رسول اللّه ﷺ، فإذا هو يسأله عن الإسلام، فقال رسول اللّه ﷺ: «**خمس صلوات في اليوم والليلة**».

---

(١) «وقفات مع قضايا معاصرة»، ص ٣١، لحازم صلاح أبو إسماعيل، بداية للإنتاج الإعلامي، الطبعة الأولى، ١٤٣١/٢٠١٠.

(٢) البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

فقال: هل عليَّ غيرها؟ قال: «لا، إلا أن تطوَّع»، فقال رسول اللّه ﷺ: «وصيام رمضان». قال: هل عليَّ غيره؟ قال: «لا، إلا أن تطوع». قال: وذكر له رسول اللّه ﷺ الزكاة، قال: هل عليَّ غيرها؟ قال: «لا، إلا أن تطوع». فأدبر الرجل وهو يقول: واللّه لا أزيد على هذا ولا أنقص. قال رسول اللّه ﷺ: «أفلح إن صدق»[1].

وأرسل النبي ﷺ معاذًا إلى اليمن ليعلِّم أهل الكتاب دينهم وعلَّمه كيف يدعو وإلى ماذا، ولم يذكر له الخلافة، فقال له: «إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة اللّه، فإذا عرفوا اللّه[2]، فأخبرهم أنَّ اللّه قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا، فأخبرهم أنَّ اللّه فرض عليهم زكاة من أموالهم، وترد على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها، فخذ منهم، وتوقَّ كرائم أموال الناس»[3].

قلت: وحتى هذه الخلافة التي يزعمونها لو فسِّرت بالمعنى المرجوح وهي الخلافة عن اللّه في التنفيذ أوامره وتطبيق شريعته فيما ذهب إليه بعضهم، فأعلى ما كلَّف اللّه به العبد هو أفراده تعالى بالعبادة والتوحيد وأعلى وأحب أنواع العبادة إلى اللّه ما افترضه من الأركان الأربعة بعد الشهادتين قال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ: «ما تقرب إليَّ عبدي بمثل ما افترضت عليه، ولا

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦)، ومسلم (١١).

(٢) تأمل قوله: «فإذا عرفوا اللّه» والمراد المعرفة بالتوحيد وإفراده بالعبادة لأنهم لا ينكرون وجوده كما هو معلوم، وتضمن هذا أنَّ أعلى أنواع العبادة التوحيد وليس الخلافة كما يزعم (أبو إسماعيل)، فتأمل.

(٣) أخرجه البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه...»[1].

إنَّ عمدة من ذهب إلى جواز هذه العبارة (**الإنسان خليفة اللّه**) وجعلها هي الغاية من خلق آدم وذريته قوله تعالى للملائكة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، متناسين أو غافلين عن النص الجلي والبيان القوي في قول العلي الأعلى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات]، فالغاية من خلق الإنس والجن أن يكونوا للّه عبيدًا قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة].

وأما استدلالهم السابق بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ فليس فيه ما يفيد كون الغاية من خلق الإنسان أن يكون خليفة عن اللّه، غايته أن اللّه أخبر الملائكة أنه سيجعل في الأرض خليفة ولم يقل (خليفة عني أو لي، أو أن هذه هي حكمة وجوده)، والتفسير الصحيح المختار في معناها: أي: خلفاء يخلف بعضهم بعضًا أو عمَّن كان في الأرض قبلهم.

وعليه كثير من أهل العلم من المفسرين وغيرها قديمًا وحديثًا كما سيأتي.

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فصل
في نبذ من كلام العلماء في المراد من قوله تعالى:
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ، في الآية: «أي: خلفاء يخلُف بعضهم بعضًا»[(١)].

وقال ابن جرير الطبري (ت: ٣١٠) رَحِمَهُ اللَّهُ:

«والخليفة الفعيلة، من قولك: خلَف فلانٌ فلانًا في هذا الأمر، إذا قام مقامه فيه بعده، كما قال تعالى ذكرهُ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [يونس: ١٤]، يعني بذلك أنه أبدَلكم في الأرض منهم، فجعلكم خلفاء بعدهم، ومن ذلك قيل للسلطان الأعظم: خليفةٌ. لأنه خلَف الذي كان قبله، فقام بالأمر مقامه، فكان منه خلفًا»[(٢)].

وقال أبو محمد مكي بن أبي طالب الأندلسي المالكي (ت: ٤٣٧) رَحِمَهُ اللَّهُ:

---

(١) علَّقه ابن جرير ١/٤٧٩.

(٢) «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» ١/٤٧٦. دار عالم الكتب.

«معناه: إني جاعل في الأرض خلقًا يخلُف بعضهم بعضًا لا بقاء لهم. وقيل: معناه: إني جاعل في الأرض خلقًا يخلفون من كان فيها ممن هلَك»(١)

وقال أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (ت: ٤٥٠) رَحِمَهُ اللَّهُ:

«واختلفوا هل يجوز أن يقال: يا خليفة اللّه؟ فجوَّزه بعضهم؛ لقيامه بحقوقه في خلقه، ولقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ [الأنعام: ١٦٥](٢).

وامتنع جمهور العلماء من جواز ذلك، ونسبوا قائله إلى الفجور وقالوا: يستخلف من يغيب أو يموت، واللّه لا يغيب ولا يموت، وقد قيل لأبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا خليفة اللّه، فقال: لست

---

(١) «الهداية الى بلوغ النهاية» ٢١٥/١. مجموعة بحوث الكتاب والسنة ـ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ـ جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ - ٢٠٠٨م.

(٢) قلت: أما الاستدلال بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ [الأنعام: ١٦٥] فلا يصح وتفسير السلف على خلافه:

قال إسماعيل السدي: أهلك القرون، واستخلفنا فيها من بعدهم.

وقال مقاتل بن سليمان: يعني: من بعد هلاك الأمم الخالية.

وقال الرحمن بن زيد بن أسلم: يستخلف في الأرض قومًا بعد قوم، وقومًا بعد قوم.

وعن قتادة بن دعامة في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ كما في سورة فاطر: ٣٩، قال: خلف بعد خلف، وقرنًا بعد قرن.

وقال يحيى بن سلام: خلفًا بعد خلف.

انظر تخريج هذه الآثار في «موسوعة التفسير المأثور» ٧٥٧/٨، ٣٩٤/١٨.

بخليفة اللّه، ولكني خليفة رسول اللّه ﷺ.»[(١)]

وقال الواحدي (ت: ٤٦٨) رَحِمَهُ اللَّهُ:

«يعني: آدم، جعله خليفةً عن الملائكة الذين كانوا سكَّان الأرض بعد الجنِّ»[(٢)].

وقال أبو زكريا النووي (ت: ٦٧٦) رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ينبغي أن لا يقال للقائم بأمر المسلمين خليفة اللّه، بل يقال الخليفة، وخليفة رسول اللّه ﷺ، وأمير المؤمنين.»[(٣)].

وقال شيخ الإسلام (ت: ٧٢٨) رَحِمَهُ اللَّهُ:

«أي خليفة عمن قبلك من الخلق وليس المراد أنه الخليفة عن اللّه وأنَّه من اللّه كإنسان العين من العين كما يقول ذلك بعض الملحدين القائلين بالحلول والاتحاد»[(٤)].

وقال ابن كثير (ت: ٧٧٤) رَحِمَهُ اللَّهُ:

«أي: قومًا يخلف بعضهم بعضًا، قرنًا بعد قرن، وجيلًا بعد جيل؛ كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٦٥] وقال: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: ٦٢] وقال: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الزخرف] وقال: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ

---

(١) «الأحكام السلطانية للماوردي» (ص٣٩)، دار الحديث، القاهرة.

(٢) «الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» ٩٨/١، دار القلم.

(٣) «الأذكار» (ص٣٦٠)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٤ ـ ١٩٩٤م.

(٤) منهاج السنة النبوية ٥٠٩/١، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ - ١٩٨٦م.

بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ [الأعراف: ١٦٩، مريم: ٥٩].»[(١)].

وقال محمد بن علان الصديقي الشافعي (ت: ١٠٥٧) رَحِمَهُ اللَّهُ:

«قوله: (ولا يسمي أحد خليفة اللّه تعالى) في شرح الروض:[(٢)] لأنه إنما يستخلف من يغيب أو يموت واللّه منزه عن ذلك، وقضية هذه العلة امتناع ذلك حتى على آدم وداود، والآيتان[(٣)] ليس فيهما إطلاق خليفة اللّه على كل منهما، إنما فيهما إطلاق خليفة مجردًا عن الإضافة وذلك جائز على كل إمام للمسلمين ولم أرَ من نبَّه على هذا»[(٤)].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت: ١٣٧٦) رَحِمَهُ اللَّهُ:

«أي: يخلف من كان قبلهم من المخلوقات التي لا يعلمها إلا هو»[(٥)].

---

(١) «تفسير ابن كثير» ٣٢٥/١. دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣١.

(٢) «أسنى المطالب في شرح روض الطالب» ١١١/٤، لزكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (ت: ٩٢٦).

(٣) مراده بالآيتين قوله تعالى عن آدم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] وعن داود: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦]. وقد ذهب إلى ذلك البغوي كما في شرح السنة ٧٥/١٤ قال: «ولا يسمى أحدٌ خليفة اللّه بعد آدم وداود عليهما السلام».

(٤) «الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية» ٨٣/٧، جمعية النشر والتأليف الأزهرية.

(٥) «تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن» ص ١٧٢، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ - ٢٠٠١م.

قال الشيخ ابن باز (ت: ١٤٢٠) رَحِمَهُ اللَّهُ:

«الآية الكريمة تدل على أنَّ اللّه جلَّ وعلا جعل هذا الإنسان وهو آدم عليه الصلاة والسلام خليفة في الأرض عمن كان فيها من أهل الفساد وعدم الاستقامة، وقول الملائكة يدل على أنه كان هناك قوم يفسدون في الأرض»[(١)].

وقال الشيخ الألباني (ت: ١٤٢٠) رَحِمَهُ اللَّهُ مبيِّنًا منعها بشيءٍ من التفصيل:

السائل يسأل: ما معنى الخلافة والاستخلاف لغةً وشرعًا؟

الجواب: ليس هناك فرق بين اللغة والشرع في هذه المسألة فكلاهما متَّحد فيها، لكن الشرع يؤكد التزام اللغة في ذلك.

الخلافة هي مصدر، كما جاء في القاموس يقال: خلَفه خلافة، أي: كان خليفته ـ ولاحظوا تمام التعبير ـ وبقي بعده.

ومما جاء في القاموس[(٢)]: الخليفة السلطان الأعظم كالخليف، أي: يقال بالتذكير والتأنيث، الخليف والخليفة، والجمع خلائف وخلفاء.

هذا ما في القاموس، لكن الشيء البديع ما في «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير[(٣)]، فقد ذكر أثرًا فانتبهوا له! يقول: «جاء أعرابي فقال لأبي بكر: أنت خليفة رسول اللّه ﷺ؟ فقال: لا، قال: فما أنت إذا كنت تقول لست خليفة

(١) فتاوى نورٌ على الدرب ٣٢/١، طبعة دار الوطن.
(٢) القاموس المحيط، مادة (خلف).
(٣) النهاية لابن الأثير، مادة (خلف).

رسول اللّه ﷺ؟ قال: أنا الخالفة بعده»[1] أي: الذي يأتي بعده، أما أن يكون خليفة فلا، لماذا؟ **لأنَّ معنى الخليفة فيه معنى دقيق على ما كنا نعبر عنه إجمالًا ونستنكر في التعبير، بأنَّ الإنسان خليفة اللّه في الأرض**، من أجل ذلك المعنى الذي يوضحه لنا الآن الإمام ابن الأثير، يقول: فقال: «أنا الخالفة بعده» أبو بكر لم يرضَ لنفسه أن يقول: إنه خليفة رسول اللّه ﷺ، وإنما قال: «أنا الخالفة بعده» أي: جاء من بعده فقط، يفسِّر ابن الأثير فيقول: **الخليفة من يقوم مقام الذاهب ويسدُّ مسدَّه، والهاء فيه للمبالغة، وجمعه (الخلفاء) إلى آخره.**

فالرسول ﷺ ـ وهو بشر ـ لم يرضَ أبو بكر الصديق أن يقول: إنَّه خليفته؛ **لأنَّ معنى الخلافة بهذه اللفظة: أنه ينوب مناب الذي خلَف ومضى وهو الرسول عليه الصلاة والسلام، ولا يمكن لأبي بكر مهما سما وعلا أن يداني كماله عليه الصلاة والسلام.**

ومن هنا نعرف بأنَّه لا ينبغي ـ من باب أولى ـ أن يقال: الإنسان هو خليفة اللّه في الأرض؛ لأنَّ البون أكبر من أن يذكر بين الخالق والمخلوق، فإذا كان أبو بكر لم يرض أن يقول عن نفسه إنه خليفة الرسول ﷺ، فنحن لا نرضى أن نقول: إن الإنسان خليفة اللّه في الأرض.

السائل: إذن فما معنى قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]؟

الشيخ: أنا كنت في صدد الإجابة عن مثل هذا السؤال؛ لأن

(١) «كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال» (٣٥٧٠٨).

الواقع أن هذا السؤال يكثر إيراده، **والجواب عنه باختصار**:

جاء أنه في الأرض خليفة للعلماء، وهناك أكثر من قول في تفسير هذه الآية أو هذه اللفظة بخصوص هذه الآية، والقول الذي يجنح إليه ابن كثير وهو في ذلك تابع لابن جرير، يقول ابن كثير في تفسير الآية نفسها: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]: ليس المراد هنا الخليفة آدم عليه السلام فقط، كما يقول طائفة من المفسرين، وعزاه القرطبي إلى فلان وفلان، وفي ذلك نظر، بل الخلاف في ذلك كثير حكاه الرازي في تفسيره وغيره، والظاهر أنه لم يرد آدم عينًا، إذ لو كان ذلك لما حسن قول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ فإنهم أرادوا أن من هذا الجنس من يفعل ذلك... إلخ.

ثم قال ابن كثير: قال ابن جرير: وإنما معنى الخلافة التي ذكرها اللّه إنما هي خلافة قرن بعد قرن، قال: والخليفة الفعيلة من قولك: خلَف فلان فلانًا في هذا الأثر، إذا قام مقامه فيه بعده، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [يونس] ومن ذلك قيل للسلطان الأعظم خليفة؛ لأنه خلَف الذي كان قبله فقام بالأمر، فكان منه خلَفًا.

هذا هو معنى الخلافة، **فنحن يجب أن نستحضر هذا المعنى العربي حتى نستعظم التعبير بأن الإنسان لا سيَّما إذا أطلقنا فنقول: إنه خليفة اللّه** ﷻ؛ لأن الذي يريد أن يخلف غيره يجب أن يكون أقلَّ ما يكون قريبًا منه، وكما أقول دائمًا وأبدًا: لا يحسن مطلقًا أن يقول القائل: فلانٌ الجاهل فلان الزبال هو خليفة العالم الفلاني؛ هذا مستهزئ كل الاستهزاء؛ لأنه لا يصلح أن يكون خليفة لذلك

العالم؛ لبعد الشقة بينهما في صفة الخلافة، فماذا يقال عن الإنسان بالنسبة لخالق الأكوان سبحانه وتعالى؟! ولذلك نجد التعابير في السنة الصحيحة تأتي لتضع الخليفة الحق، كما جاء في حديث في صحيح البخاري أن النبي ﷺ كان إذا سافر سفرًا دعا قائلًا: «اللّهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل»[(١)] وفي رواية: «في الحضر»[(٢)]، فإذا غاب الزوج عن بيته فمن الخليفة من بعده؟ هو اللّه سبحانه وتعالى؛ لأنه هو الذي يحسن الخلافة، أما أن يكون العبد العاجز الجاهل، مهما كان قويًّا وعالمًا، أن يكون خليفة عن اللّه ﷻ في الأرض، **فهذا تعبير مستهجن لغة وشرعًا!!** هذا ما عندنا بالنسبة لهذا السؤال».[(٣)]

وقال رحمه الله **أيضًا**: «ومن نكارتها أنه لا يجوز في الشرع أن يقال: فلان خليفة اللّه، لما فيه من إيهام ما لا يليق باللّه تعالى من النقص والعجز، وقد بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه تعالى، في الفتاوى (٢/٤٦١)».[(٤)]

وقال الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة (ت: ١٤٢٦) رحمه الله:

«إن إطلاق هذه المقولة الباطلة: الإنسان خليفة عن اللّه في أرضه، يبدو أمرًا مخيفًا حينما نلاحظ أن الموضوع له مساس

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٤٢) من حديث عبد اللّه بن عمر.

(٢) ذكرها ابن عبد ربه في «العقد الفريد» ٣/١٧٨.

(٣) دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، انظره بصوت الشيخ على الموقع: http://www.islamweb.net (مواضيع متنوعة في العقيدة/ معنى الخلافة والاستخلاف لغة وشرعًا)

(٤) «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة» ١/١٩٧.

بخصائص الرب الخالق الآمر الحاكم المهيمن على كل ذرَّة في الوجود، وكلِّ حركة وسكنة فيه، ويتعلق بصفاته ﷻ، فمثل هذا لا يجوز إثباته إلا بدليل قاطع عن الشارع.

وما دام النص متردِّدًا بين عدد من الاحتمالات فالواجب يحتم استبعاد ما تقضي المفاهيم الدينية العامة باستبعاده منها»[1].

وجاء في سؤالٍ للجنة الدائمة:

السؤال: وجدت في بعض الكتب عبارة (أنتم أيها المسلمون خلفاء اللّه في أرضه) فما حكم ذلك؟

الجواب: هذا التعبير غير صحيح من جهة معناه؛ لأن اللّه تعالى هو الخالق لكل شيء، المالك له، ولم يغب عن خلقه وملكه، حتى يتخذ خليفة عنه في أرضه، وإنما يجعل اللّه بعض الناس خلفاء لبعض في الأرض، فكلما هلك فرد أو جماعة أو أمة جعل غيرها خليفة منها يخلفها في عمارة الأرض، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الأنعام: ١٦٥]،

وقال تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الأعراف: ١٢٩]،

وقال: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] أي: نوعًا من الخلق يخلف من كان قبلهم من مخلوقاته، وبالله التوفيق.

---

(١) «لا يصح أن يقال الإنسان خليفة للّه في أرضه فهي مقولة باطلة» ص ٤٦.

وصلى اللّه على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم[1].

وفصَّل ابن القيم (ت: ٧٥١) رَحِمَهُ اللَّهُ في اطلاقها فقال بعد أن ذكر قول من أجاز ذلك وحججهم:

«ومنعت طائفةٌ هذا الإطلاق، وقالت: لا يقالُ لأحد: إنه خليفة اللّه؛ فإنَّ الخليفةَ إنما يكونُ عمن يغيبُ ويَخْلُفه غيرُه، واللّهُ تعالى شاهدٌ غير غائب، قريبٌ غير بعيد، راءٍ وسامع، فمحالٌ أن يَخْلُفَه غيرُه، بل هو سبحانه الذي يَخْلُفُ عبدَه المؤمنَ فيكون خليفتَه؛ كما قال النبيُّ ﷺ في حديث الدجال: «إنْ يَخْرُج وأنا فيكم فأنا حَجِيجُه دونكم، وإن يَخْرُج ولستُ فيكم فامرؤٌ حَجِيجُ نفسه، واللّهُ خليفتي على كلِّ مؤمن»، والحديث في «الصحيح»[2].

وفي «صحيح مسلم» أيضًا من حديث عبد اللّه بن عمر أنَّ رسول اللّه ﷺ كان يقولُ إذا سافر: «اللّهم أنت الصاحبُ في السَّفر، والخليفةُ في الأهل...» الحديث.

وفي «الصحيح» أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «اللّهمَّ اغفر لأبي سلمة، وارفع درجتَه في المهديِّين، واخلُفْهُ في٧ أهله»[3].

فاللّه تعالى هو خليفةُ العبد؛ لأنَّ العبدَ يموتُ فيحتاجُ إلى من يَخْلُفه في أهله.

قالوا: ولهذا أنكر الصدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على من قال له: «يا

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة ج ١ ص ٧١ الفتوى رقم (٣٠١٤) المجموعة الأولى جمع أحمد الدويش طبعة رئاسة البحوث العلمية والافتاء.

(٢) «صحيح مسلم» (٢٩٣٧) من حديث النواس بن سمعان.

(٣) «صحيح مسلم» (٩٢٠).

خليفةَ اللّه»، قال: «لستُ بخليفة اللّه، ولكن خليفةُ رسول اللّه، وحسبي ذلك»[1].

قالوا: وأمَّا قولُه تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، فلا خلافَ أنَّ المرادَ به آدمُ وذريته. وجمهورُ أهل التفسير من السَّلف والخلف على أنه جعله خليفةً عمن كان قبله في الأرض. قيل: عن الجنِّ الذين كانوا سُكَّانها. وقيل: عن الملائكة الذين سكنوها بعد الجنِّ، وقصَّتهم مذكورةٌ في التفاسير[2].

وأمَّا قولُه تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، فليس المرادُ به خلائفَ عن اللّه، وإنما المرادُ به أنه جعلكم يَخْلُفُ بعضُكم بعضًا، فكلَّما هلك قرنٌ خَلَفه قرنٌ إلى آخر الدهر.

ثمَّ قيل: إنَّ هذا خطابٌ لأمَّة محمدٍ ﷺ خاصَّة؛ أي: جعلكم خلائفَ من الأمم الماضية، فهلكوا وورثتم أنتم الأرضَ من بعدهم.

ولا ريب أنَّ هذا الخطابَ للأمَّة، والمرادُ نوعُ الإنسان الذي جعلَ اللّهُ أباهم خليفةً عمَّن قبله، وجعل ذريته يَخْلُفُ بعضُهم بعضًا إلى قيام الساعة، ولهذا جَعَل هذا آيةً من آياته، كقوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: ٦٢].

---

(١) قال في تحقيق «مفتاح دار السعادة»: أخرجه أحمد في «المسند» ١/١٠، وابن أبي شيبة في «المصنف» ١٤/٥٦٨، والخلال في «السنة» ١/٢٧٤، وغيرهم بإسنادٍ منقطع. وقد كان الصحابةُ رضي الله عنهم ينادونه: «يا خليفة رسول اللّه»، عقد الحاكمُ للروايات في ذلك فصلًا في «المستدرك» ٣/٧٩، وصحَّح بعضها ولم يتعقَّبه الذهبي.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ١/٤٥٠، و«الدر المنثور» ١/٤٤.

وأما قول موسى لقومه: ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٢٩]، فليس ذلك استخلافًا عنه، وإنما هو استخلافٌ عن فرعون وقومه؛ أهلكهم وجعل قومَ موسى خلفاء من بعدهم.

وكذا قولُ النبيِّ ﷺ: «إنَّ اللّهَ مستخلفُكم في الأرض»، أي: من الأمم التي تهلكُ وتكونون أنتم خلفاءَ من بعدهم.

قالوا: وأمَّا قولُ الراعي؛ فقولُ شاعرٍ قال قصيدةً في غيبة الصدِّيق لا يُدرى أبلغت أبا بكرٍ أم لا؟ ولو بلغته فلا يُعْلَمُ أنه أقرَّه على هذه اللفظة.

قلت: إن أريد بالإضافة إلى اللّه أنه خليفةٌ عنه، فالصوابُ قولُ الطائفة المانعة منها.

وإن أريد بالإضافة أن اللّه استخلفه عن غيره ممَّن كان قبله، فهذا لا يمتنعُ فيه الإضافة، وحقيقتُها: خليفةُ اللّه الذي جعله اللّهُ خَلَفًا عن غيره. وبهذا يخرَّجُ الجوابُ عن قول أمير المؤمنين: «أولئك خلفاءُ اللّه في أرضه».

فإن قيل: هذا لا مدحَ فيه؛ لأنَّ هذا الاستخلافَ عامٌّ في الأمَّة، وخلافةُ اللّه التي ذكرها أميرُ المؤمنين خاصَّةٌ بخواصِّ الخَلْق.

فالجواب: أنَّ الاختصاصَ المذكور أفاد اختصاصَ الإضافة، فالإضافةُ هنا للتشريف والتخصيص، كما يضافُ إليه عبادُه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢]، ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، ونظائرها.

ومعلومٌ أنَّ كلَّ الخلق عبادٌ له، فخلفاءُ الأرض كالعباد في

قوله: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٢٠]، ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٣١]، وخلفاءُ اللّه كعباد اللّه في قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ ونظائره.

وحقيقةُ اللفظة: أنَّ الخليفةَ هو الذي يَخْلُفُ الذاهب، أي: يجيء بعده؛ يقال: خَلَفَ فلانٌ فلانًا.

وأصلُها: «خليفٌ» بغير هاء؛ لأنها فَعِيلٌ بمعنى فاعل، كالعليم والقدير، فدخلت التاءُ للمبالغة في الوصف، كراوية وعلَّامة؛ ولهذا جُمِعَ جمعَ فَعِيل، فقيل: خُلفاء، كشُرفاء وظُرفاء وكُرماء. ومن راعى لفظَه بعد دخول التاء عليه جمَعه على فعائل، فقال: خلائف، كعَقِيلة وعقائل، وطَرِيفة وطرائف. وكلاهما ورد به القرآن.

هذا قولُ جماعةٍ من النحاة.

والصوابُ أنَّ التاء إنما دخلت فيها للعَدْل عن الوصف إلى الاسم؛ فإنَّ الكلمةَ صفةٌ في الأصل، ثمَّ أُجرِيَت مجرى الأسماء، فأُلحِقَت التاءُ لذلك، كما قالوا: «نَطِيحة» بالتاء، فإذا أجروها صفةً قالوا: «شاةٌ نَطِيح» كما يقولون: «كفٌّ خَضِيب»، وإلا فلا معنى للمبالغة في «خليفة» حتى تلحقها تاءُ المبالغة، واللّه أعلم»[(١)].

وقال الشيخ عبد المحسن العباد البدر حفظه اللّه:

«وهل يقال للإنسان: خليفة اللّه؟ إن أريد بخليفة اللّه أنه خليفة عن اللّه، **فهذا كلام غير صحيح**؛ لأن اللّه حيٌّ شاهدٌ لا يغيب، مطَّلع على كلِّ شيءٍ، حيٌّ لا يموت، وإن أريد به أنه خليفة من اللّه

(١) «مفتاح دار السعادة» ١/٤٢٨ ـ ٤٣٢، دار عطاءات العلم، الطبعة الثالثة، ١٤٤٠ - ٢٠١٩م.

تعالى جعله يخلف غيره ممن تقدَّمه، واللّه تعالى هو الذي يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، فيكون صحيحًا»[1].

(١) «شرح سنن أبي داود» ١٤/٤٧٥ بترقيم الشاملة.

فائدة في سؤال الملائكة:

﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾

المتأمل في قول الملائكة: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ يجد أن سؤالهم لا يُنبئ عن علمهم بفضل هذا الخليفة بل على العكس من ذلك، إذ لو كان المراد بهذا الخليفة هو أنه (خليفة للّه في أرضه لإقامة شرعه) لظهر فضله من أول وهلة إذ هذه إضافة تشريف وتفضيل، ولكن لم يظهر فضله عليهم إلا بعد أن علَّمه اللّه تعالى الأسماء التي غاب علمها عن الملائكة وأمرهم بعد ذلك بالسجود له تكريمًا وتشريفًا، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣١ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٢﴾ [البقرة: ٣١-٣٤].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١) رحمه اللّه: «ثم إنه سبحانه **أظهر فضل الخليفة عليهم بما خصَّه به من العلم الذي لم تعلمه الملائكة**، وأمرهم بالسجود له تكريمًا له وتعظيمًا، وإظهارًا لفضله، وفي ضمن ذلك من الحِكَم ما لا يعلمه إلا اللّه.»[1]

(١) «بدائع الفوائد» ٤/١٥٥٢. دار عطاءات العلم، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤٤٠ - ٢٠١٩م.

ثم إنَّ سؤال الملائكة كان عن سبب خلق هذا الإنسان ذي النفس المتحركة المريدة المختارة بل والجاهلة حتى تتعلم قال ﷺ: «إنَّما العلم بالتعلم»[1] ومن هذه صفته لا بدَّ أن يصدر منها شر وظلم وفساد قال تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه: «وهو سبحانه خلق الإنسان وخلق نفسه متحركة بالطبع[2] حركةً لا بد فيها من الشر لحكمة بالغة ورحمة سابغة. فإذا قيل: فلِمَ لم يخلقها على غير هذا الوجه؟

قيل: كان يكون ذلك خلقًا غير الإنسان. وكانت الحكمة بخلقه لا تحصل. **وهذا سؤال الملائكة حيث** قالوا: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠] فعلم من الحكمة في خلق هذا ما لم تعلمه الملائكة، فكيف يعلمه آحاد الناس؟!

ونفس الإنسان خُلقت كما قال اللّه تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ٢١﴾ [المعارج] وقال تعالى ﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٍۚ﴾ [الأنبياء: ٣٧]. **فقد خُلقت خِلْقة تستلزم وجود ما وجد منها لحكمة عظيمة ورحمة عميمة. فكان ذلك خيرًا ورحمة. وإن كان فيه شر إضافي كما تقدم**»[3].

---

(١) حسن، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، انظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٣٤٢).

(٢) أي أنَّ اللّه خلقها وطبعها على أن تكون حركتها حركة إرادية اختيارية لا إكراه فيها كما هو الواقع.

(٣) «مجموع الفتاوى» ٨/٢١٤، ١٤/٣١٥

قلت: فلو فهم الملائكة من معنى كلمة (خليفة) أي: (خليفة عن اللّه) لأقرو ابتداءً بفضله ولم يتوهموا أن يستخلِف اللّه عن نفسه من يفسد في الأرض ويسفك الدماء، بل العادة أن يستخلِف المستخلِف أفضل من يقوم مقامه على أكمل وجه.

قال الشيخ عبد الرحمن حبنكة: «إن الملائكة لا يمكن أن يكونوا قد فهموا من قول اللّه تعالى لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ أَنّ هذا المخلوق الجديد سيكون خليفة عن اللّه، ثم يقولوا لربهم ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ لأنهم يعلمون أنَّ اللّه تبارك وتعالى عليم حكيم، فهو سبحانه لا يختار خليفة عنه على أي مستوى من مستويات الاستخلاف إلا من هو أهل لهذه الخلافة»[(١)]

قال الشيخ الإستانبولي: «إنَّ هؤلاء الملائكة لو فهموا أن آدم خليفة اللّه، لما تجرأوا ولا توهموا أنَّ خليفة اللّه سيفسد في الأرض، ويسفك الدماء، إنَّما فهموا أنَّ آدمَ وذريتَه مِن البشر سيَخلِفون من سبقهم من المخلوقات الذين أفسدوا في الأرض، قاله ابن عباس والحسن كما جاء في تفسير الإمام ابن الجوزي»[(٢)].

قلت: بل على هذا التفسير يكون كل إنسان (خليفة اللّه) منهم من أدَّى الخلافة على وجهها ومنهم من لم يفعل ذلك، فيكون فرعون وهامان وقارون وكل فاجر وكافر وزنديق خلفاء للّه!! وحاشى للّه أن يكون مثل هؤلاء خلفاؤه، قال شيخ الإسلام: «**فمن**

---

(١) رسالة الحبنكة: «لا يصح أن يقال الإنسان خليفة للّه في أرضه» ص ٤٧.

(٢) قاله الشيخ الإستانبولي في مقاله السابق، وانظر: «زاد المسير في علم التفسير» ١/٥٠.

كان يضرب ويقتل لغير طاعة اللّه ورسوله، فإنما هو جبار من الجبارين، فإن لم يتب وإلا جاءه بأس اللّه الذي لا يرد عن القوم المجرمين... فكيف يستجيز مسلمٌ أن يقول في مثل هذا أنه خليفة عن اللّه ونائب عنه؟!، وهذا يقتضي أنَّ فرعون والنمرود ونحوهما كانوا خلفاء عن اللّه نوَّابًا عنه!».[1]

فتأمل.

(١) «بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية» ٦٠٨/٦.

فصْلٌ
في الردِّ على من زعم أن الإنسان خليفة عن اللّه تعالى

قال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية النميري (ت: ٧٢٨) رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وأما قول طائفة من هؤلاء[١] وغيرهم: أنَّ الآدمي خليفة اللّه استخلفه عن نفسه فجعله يخلفه في تدبير المملكة فهو على صورته من هذا الوجه، فهذا يدخل فيه معنى المُلك ومعنى كونه نسخة العالم، لكن فيه من الباطل ما يخصه **وهو: زعمهم أنَّ الإنسان خليفة عن اللّه تعالى، فإن هذا باطل، واللّه تعالى لا يخلُفه شيء أصلًا.**

وإنما معنى كون آدم وداود والآدميين خلائف: أنهم يخلفون غيرهم من المخلوقات، لا أنهم يخلفون الخالق كما قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾

(١) أي أهل الحلول والاتحاد.

[النور: ٥٥] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [يونس ١٣-١٤] وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الأنعام: ١٦٥] وقال تعالى في قصة نوح: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ﴾ [يونس ٧٣] وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الأنعام] وقال تعالى في خطاب هود لقومه: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾ [الأعراف ٦٩] وفي خطاب صالح لقومه: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٧٤] وقال في خطاب موسى لقومه عسى: ﴿رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف] وقال النبي ﷺ: «من جهز غازيًا فقد غزا ومن خَلَفه في أهله بخير فقد غزا»[(١)] وقال: «أو كلما نفرنا في سبيل اللّه خَلَف أحدهم...»[(٢)] وقال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٤٣) ومسلم (١٨٩٥) عن زيد بن خالد.

(٢) أخرجه أحمد (٢٠٨٠٣)، ومسلم (١٦٩٢)، وأبو داود (٤٤٢٢) من حديث جابر بن سمرة قال ـ واللفظ لأحمد ـ: أتي النبي ﷺ بماعز بن مالك، رجل قصير، في إزاره ما عليه رداء، قال: ورسول اللّه ﷺ، متكئ على وسادة على يساره، فكلمه، وما أدري ما يكلمه، وأنا بعيد منه، بيني وبينه قوم، فقال: «اذهبوا به» ثم قال: «ردوه» فكلمه وأنا أسمع، فقال: «اذهبوا به فارجموه» ثم قام رسول اللّه ﷺ خطيبًا وأنا أسمعه، قال: فقال: «أكلما=

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الأعراف: ١٦٩] وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾﴾ [فاطر] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ [التوبة: ٩٣] وقال: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [التوبة: ٨٣] ولهذا قيل للصديق: «يا خليفة اللّه فقال: لست بخليفة اللّه ولكن خليفة رسول اللّه ﷺ وحسبي ذلك»[(١)].

ولكن اللّه سبحانه يوصف بأنَّه خليفة وبأنه خلَفٌ من غيره، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «**اللّهم أنت الصاحب في السفر وأنت الخليفة في الأهل اللّهم اصحبنا في سفرنا هذا خيرًا واخلفنا في أهلنا**»[(٢)] ويقال في الوداع: خليفتي عليك اللّه، وفي التعزية الذي ذكر الشافعي في «مسنده»: أنَّ أهل بيت رسول اللّه ﷺ سمعوا صوتَ معزٍّ عزَّاهم بها: يا أهل بيت رسول اللّه ﷺ إنَّ في اللّه عزاء من كل مصيبة وخلَفًا من كل هالك ودركًا من كل فائت[(٣)].

= نفرنا في سبيل اللّه، خلف أحدهم له نبيب كنبيب التيس يمنح إحداهن الكثبة من اللبن، واللّه لا أقدر على أحدهم إلا نكلت به».

(١) سبق تخريجه في المقدمة.

(٢) سبق تخريجه في المقدمة.

(٣) مسند الشافعي ترتيب سنجر (٦٠٣) قال: أخبرنا القاسم بن عبد اللّه بن عمر، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، به. قال ابن كثير في «البداية والنهاية» ٢/١٤٠: «شيخ الشافعي القاسم العمري متروك؛ قال=

وذلك لأنَّ الخليفة لا يكون إلا مع تغيُّب المستخلِف لا مع شهوده، واللّه شهيد على عباده لا يغيب عنه شيء مدبِّرٌ للجميع فلا يَستخلف من يقوم مقامه في ذلك كما يَستخلف المخلوق للمخلوق، بل هو الخالق لكل شيء المدبِّر لكل شيء، فالآدميون يموتون ويغيبون فيكون من يخلفُهم واللّه حيٌّ قيوم لا يغيب فلا يكون له من يخلُفه، بل هو سبحانه يخلُف من يغيب أو يموت، كما يكون خليفة المؤمن في أهله إذا سافر ويكون خليفة له إذا مات، فيكفي أولئك ـ الذين كان المؤمن يكفيهم ـ في هدايتهم ورزقهم ونصرهم.

يُبيِّن ذلك أنَّ الإنسان ـ إذا آتاه اللّه مُلكًا أو لم يؤته ـ إمَّا أن يكون عند اللّه عاملًا بطاعته وطاعة رسوله أو لا يكون.

فإن كان من القسم الأول كان من عباد اللّه كالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهؤلاء هم الذين قال اللّه تعالى فيهم: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾، وقال إبليس: ﴿...فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [صٓ] ونحو ذلك، والعبد العامل بأمر اللّه هو عابد لربه متوكل عليه لم يخلُف ربه في أمر من الأمور، كما أنَّ الملائكة ـ الذين لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ـ ليس خالفين للّه في أمرٍ من الأمور وإن كانوا عاملين بأمره عابدين له مطيعين وهم المدبِّرات أمرًا والمقسِّمات أمرًا[1].

= أحمد بن حنبل ويحيى بن معين: يكذب. زاد أحمد: ويضع الحديث. ثم هو مرسل، ومثله لا يعتمد عليه هاهنا، واللّه أعلم»

(١) تأمل هذا وقارن بمن يقول يجوز اطلاقه بمعنى أنه قائم بأمر اللّه ومنفذ لشريعته، وهذا في الحقيقة مكلَّف، وليس مستخلفًا، وشتان بينهما، فتأمل.

وإن كان الإنسان غير عاملٍ بطاعة اللّه ورسوله، بل هو عاصٍ للّه ورسوله، فهذا أبعد أن يكون عمله ذلك خلافةً عن ربه وهو يعمل ما يبغضه اللّه ويكرهه وينهى عنه.

فقد ظهر أنه لا وجه أن يجعل واحدٌ من هذين خليفةً عن اللّه، لا من يعبده ولا من يطيعه ولا من يشرك به ويعصيه.

هذا من جهة القضاء والقدر والأمر الكوني، فإنَّ اللّه خالق كل شيء فهو خالق كلِّ حيٍّ من الملائكة والإنس والجن والبهائم، وخالق قدرهم وإراداتهم وأفعالهم، كما أنَّه خالق غير الأحياء، وهو ـ وإن كان يخلق الأشياء بعضها ببعض كما يخلق النبات بالمطر ويخلق المطر بالسحاب ـ فليس شيءٌ من ذلك خليفته، إذ هو الخالق له ولما يخلقه به، فهو ربُّ كلِّ شيءٍ ومليكه، ولو جاز ذلك لكان كل مخلوقٍ خليفةً عن اللّه، بل جميع ذلك مسخَّر بأمره، مصروف بمشيئته، مدبَّر بقدرته، منظوم بحكمته، واللّه غنيٌّ عن جميع ذلك، وكلُّ ذلك فقير إليه، وليس الصغير أفقر إليه من الكبير، ولا المسبَّب بأفقر إليه من السبب[1]، بل الجميع فقراء إليه

---

(١) قوله: «**ولا المسبَّب بأفقر إليه من السبب**» كقوله في «مجموع الفتاوى» ٣٥/٤٥ وهو يتكلم عن نفس الموضوع: «**فإنه حي قيوم شهيد لا يموت ولا يغيب وهو غني يرزق ولا يُرزق، يرزق عباده وينصرهم ويهديهم ويعافيهم بما خلقه من الأسباب التي هي من خلقه والتي هي مفتقرة إليه كافتقار المسببات إلى أسبابها**». والمراد: أي فكما أن الإنسان ـ مثلًا ـ يقوم بأعمال وينتج عن فعله أشياء هو سبب في وجودها وهي مسبَّبة عنه فليست هي ـ بحكم كونها ناتجة عن فعله ـ بأفقر وأحوج من الإنسان الفاعل نفسه، فاللّه هو الذي خلقه وخلق قدرته وفعله وقدَّر عليه فعل ما فعل=

وهو رب الجميع ومليكه، وهو سبحانه ليس كمثله شيء في شيء من تدبيره كما قال سبحانه: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٩ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ۝١٠﴾ [الشورى].

يُبيِّن ذلك أنَّ كلَّ من خلَف غيره في شيء فإنَّه يكون مُعينًا له فيما يعجز عنه المخلوف، إمَّا لعدم علمه به وإما لعدم قدرته، فالخالف شريك للمخلوف ولقوله، كالأمير الذي يَستخلِف في الأمصار خلفاءَ عنه، فهم كلهم فاعلون ما لا يقدِر هو وحده أن يفعلَه، وهم مشاركون له مكافئون له، وهو وهم متعاونون على جملة التدبير، وكلٌّ منهم ينتفع بما يعاونه الآخر عليه، واللّه تعالى ليس كذلك، بل هو الغني مطلقًا بنفسه عن الخلق، وهو الخالق لكل شيء، ثم إنَّ من رحمته أنَّه يأمر العبيد بما يصلحهم وينهاهم عمَّا يفسدهم، وهو الذي يُعينهم على فعل المأمور وترك المحظور، ولا يقدرون على فعل ذلك إلا بإعانته، بل يخلق ذلك كله قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ۝٢٢ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ﴾ [سبأ ٢٢-٢٣] وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ۝١١١﴾ [الإسراء].

وإنما يُتخيَّل أنه خليفة عن اللّه ونائب عنه ـ بمنزلة ما يعهد عن

= ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصافات: ٩٦] ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾ [التكوير: ٢٩].

الخلفاء والنواب عن المخلوفين[1] ـ من يكون جبارًا منازعًا للّه في كبريائه وعظمته، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «يقول اللّه تعالى: العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدًا منهما عذبته»[2] فيكون مختالًا يتخيَّل في نفسه أنه عظيم كبير، وأنَّ أمره ونهيه وفعله بالنسبة إلى اللّه تعالى من جنس أمر الخليفة النائب عن غيره، ومن جنس نهيه وفعله، وهذا شركٌ وكذبٌ وضلالٌ وكبرياءٌ واختيالٌ.

وذلك أنَّ الخليفة عن غيره يأمر وينهى ويفعل أمورًا لم يدرِ بها المستخلف ولم يقدر عليها ولا يكون أمر بها ونهى، بل يكون أمرُ هذا من جنس أمر الأول كالوكيل مع موكله، وكالوصي مع الموصي، وهؤلاء بمنزلة أحد الشريكين مع الآخر، ولهذا جاءت الشريعة بذلك، فجعل الفقهاء الشركة في التصرف مبنية على الوكالة، وأنَّ الشريك يتصرف لنفسه بحكم المِلك ولشريكه بحكم الوكالة والنيابة، وأما الوصي فهو أبلغ من هذا، لأنه يتصرَّف بعد انقطاع أمر الموصي بالموت، فهذا يكون له من الاستقلال ما ليس للوكيل والشريك، حتى تنازع الفقهاء في جواز توصيته، فأجاز ذلك من منع توكيل الوكيل، وحتى أجازوا له من التصرفات ما لا يجوز للوكيل، وهكذا خلفاء ولاة الأمور، مثل خليفة الإمام الكبير ذي الإمامة الكبرى، وخليفة الحاكم وخليفة إمام الصلاة وغير ذلك = كلٌّ من هؤلاء يفعل من جنس ما يفعله مستخلِفه، وكلُّ هذا في

(١) في المطبوع: «المخلوقين عنهم» نقلًا عن بعض النسخ، وفي مخطوطة ليدن: «المخلوق»، والمثبت من مخطوطة الكواكب ق/٢٠٠ أ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٢٠).

حق اللّه ممتنع، واعتقاد ذلك في حق أحدٍ هو من أعظم الشرك، ومن باب اتخاذ البشر أربابًا قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١﴾ [التوبة] وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩ وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۚ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ٨٠﴾ [آل عمران].

يُبيِّن ذلك أنَّ أعظم الخلق منزلةً عند اللّه هم رسله، والرسل إنَّما هم **مبلِّغون** أمره ونهيه، لا يأمرون إلا بما أمر، ولهذا كان رأس الإسلام شهادة أن لا إله إلا اللّه وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، فطاعتهم طاعة اللّه، كما قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النساء ٨٠]، لأنهم بلَّغوا أمر اللّه إلى عباده، فالمطيع لهم مطيع لأمر اللّه، لأنه فاعل ما أمره اللّه به، **وأين الرسول ـ المبلغ أمر غيره ـ من النائب له الخليفة عنه**، الذي يتصرف كما يتصرف المستخلف؟! بينهم فرقان عظيم، قال ﷺ فيما رواه البخاري[1]: «إني واللّه لا أعطي أحدًا ولا أمنع أحدًا وإنما أنا قاسم أضعُ حيث أُمرتُ»، فأمَّا من يتصرف في عباد اللّه بمشيئته وهواه، فيعطي من أحب ويمنع من أحب، ويوالي من أحب ويعادي من أحب بغير أمر اللّه ولا إذنه، فهذا عدوٌّ للّه جبارٌ مختالٌ من جنس فرعون الذي علا في الأرض واتخذ أهلها شيعًا يستضعف طائفة

(١) برقم (٣١١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين، فهل يكون هؤلاء نوَّابًا عن اللّه أو خلفاء عنه وهم أعداؤه وعصاته كإبليس؟!

وإن كان اللّه هو الخالق لكل شيء فليس كل ما خلقه اللّه من الأعيان والأفعال يكون محبًّا له راضيًا به، وإن كان بمشيئته، فإنَّه سبحانه خالق إبليس وذويه وهو يُبغضهم ويلعنهم ويعاقبهم.

ومن قال عن نفسه أو غيره: (إني نائبُ اللّه أو خليفة عن اللّه)، ولم يكن أمر بما أمر اللّه به على ألسن رسله فقد كذب على اللّه، واستكبر في الأرض بغير الحق، كما يذكر ذلك عن طائفة من الملوك الجاهلين الظالمين، بل المنافقين المشركين، وإن كان إنما أمر بما أمر اللّه به، فهو مصيب في إيجاب طاعته إذا أمر بما أمر اللّه به ومصيب في مخالفة[1] من عصى اللّه وإكرام من أطاعه، وقوله: (نائب) إن كان بمعنى المبلغ والرسول والمنفذ فصحيح، وإن كان بمعنى: (أني أنوب عنه في ما لا يفعله هوَ ولا يقدر عليه) فهذا كذبٌ، وهذا قد يقوله القدري الذي يظن أنه مستقل بفعله، وأنَّ اللّه لم يخلق فعله، وهو مُبطل في ذلك.

نعم لو قال: (نائب رسول اللّه ﷺ أو خليفة رسول اللّه) لكان هذا صحيحًا، ولهذا لمَّا قالوا للصديق: «يا خليفة اللّه قال لست خليفة اللّه ولكني خليفة رسول اللّه وحسبي ذلك» فلا يُطلق على أحد أنه نائب عن اللّه ولا خليفة عنه أصلًا، بخلاف الرسول فإنه قد رُوي في وصف خلفاء الرسل أنَّهم الذين يُحيون سنَّتهم

(١) في المطبوع «معاقبة» والمثبت من المخطوطتين.

ويعلمونها الناس[(١)]، ولهذا تجب طاعتهم كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «من أطاعني فقد أطاع اللّه ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصاني فقد عصى اللّه ومن عصى أميري فقد عصاني»[(٢)] وذلك لأنَّه ﷺ لا يأمر إلا بما أمر اللّه به، فالمطيع له مطيع للّه، وكذلك أميره الذي استخلفه على بعض أُمَّته ـ كأمراء السرايا ـ الذي أوجب طاعته إنَّما أوجبها إذا كان يأمر بما أمر الرسول به، كما قال ﷺ: «إنما الطاعة في المعروف» وكما قال: «لا طاعة في معصية اللّه»[(٣)].

فقوله: «من أطاع أميري» قد بيَّن أنَّ معناه إطاعته في الطاعة، وهو ما كان من الأفعال التي يأمر اللّه ورسوله بها، فيكون هذا الأمير **منفِّذًا** لذلك الأمر، كما كان عمر بن عبد العزيز يقول: «يا أيها الناس لا كتاب بعد كتابكم ولا نبيَّ بعد نبيكم كتابكم آخر الكتب ونبيكم آخر الأنبياء وإنما أنا متبع ولست بمبتدع، وإنما أنا منفِّذ ولست بقاضٍ»[(٤)].

فقد تبيَّن أنَّ هذه الدعاوي في الخلافة عن اللّه ونحو ذلك، إنما هي من دعاوي المتكبرين الجبارين المشركين، الذين يريدون

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٤٦)، والهروي في «ذم الكلام وأهله» (٤/ ٢٢٨) عن الحسن بلفظ: «رحمة اللّه على خلفائي» ثلاث مرات قالوا: ومن خلفاؤك يا رسول اللّه؟ قال: ق«الذين يحيون سنتي ويعلمونها عباد اللّه» وقال الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (٨٥٤): «باطل».

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٥٧، ٧١٣٧) ومسلم (١٨٣٥) عن أبي هريرة.

(٣) والبخاري (٤٣٤٠، ٧١٤٥، ٧٢٥٧)، ومسلم (١٨٤٠).

(٤) انظر: «سيرة عمر بن عبد العزيز» (ص٤٠) لعبد اللّه بن عبد الحكم (ت: ٢١٤).

العلوَّ في الأرض، كفرعون وهؤلاء الاتحادية والموافقين لفرعون المدَّعين أنهم مضاهون للّه تعالى، وأنه يحتاج إلى عباده كما يحتاج عباده إليه سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

يُبيِّن هذا أنَّ إيتاء اللّه للعبد الملكَ والسلطان والمال، لا يقتضي أن ذلك إكرام منه له ومحبة، بل هو ابتلاء وفتنة له وامتحان قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾﴾ [الفجر] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [يونس] وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأنعام] فبيَّن أنَّه جعلهم خلائف ورفع بعضهم فوق بعض درجات، كما يرفع درجة ذي المُلك والسلطان ليبلوهم فيما آتاهم.

وإذا كان كذلك فمن كان منهم عاملًا بطاعة اللّه غير عامل بمعصيته كان من أولياء اللّه وعباده الصالحين، ومن كان منهم عاملًا بمعصية اللّه، مريدًا للعلو في الأرض والفساد، متخيِّلًا متكبِّرًا جبَّارًا، كان من أعداء اللّه، وممن سخط اللّه عليه ولعنه، قال بعض السلف ـ أظنه مجاهدًا ـ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الشعراء: ١٣٠] قال: «هو السوط والسيف والعصا في غير طاعة اللّه»[1]، فمن كان يضرب ويقتل لغير طاعة اللّه ورسوله،

(١) انظر: «موسوعة التفسير المأثور» (١٦/ ٣٣٤).

فإنما هو جبار من الجبارين، فإن لم يتب وإلا جاءه بأس اللّه الذي لا يرد عن القوم المجرمين، سنَّة اللّه ولن تجد لسنَّة اللّه تبديلًا، فكيف يستجيز مسلمٌ أن يقول في مثل هذا أنه خليفة عن اللّه ونائب عنه؟!، وهذا يقتضي أنَّ فرعون والنمرود ونحوهما كانوا خلفاء عن اللّه نوَّابًا عنه!

ثمَّ إنَّ هؤلاء يجعلون هذا المعنى ثابتًا لكلِّ إنسان أنَّه خليفة عن اللّه، لأنَّه من الجنس المسلَّطين على غيرهم من أجناس الحيوان، وعلى أنواع من التدبير، ولا يفرقون بين من أطاع اللّه ومن عصاه، بل يجعلون الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض، ويجعلون المتقين كالفجار، وهذا كله من الإشراك والجمع لما فرق اللّه بينه، ولهذا شرَّع الاتحادية كلَّ شرك في العالم

ونظير هذا الإشراك ـ الذي يجعل فيه العباد خلفاء عن اللّه ونوَّابًا عنه تشبيهًا لذلك بالخلافة والنيابة عن الملوك ـ ما يوجد في كثير من الناس المشركين من تشبيههم لمسألة اللّه ودعائه وعبادته بمسألة الملوك، فيقول الناس لأحدهم: إذا أردت أن تأتي السلطان وتسأله فابدأ بالوسائط التي بينك وبينه، كالحجَّاب والنوَّاب والأعوان، فإنَّ قصدك السلطان من الباب، قلَّة معرفة[1] وقلَّةَ تعظيم وإكرام وذلك لا يصلح لك، فيأمرونه بالتواضع والإشراك بالمخلوقين، وهذا من الأسباب الذي به عبدت الكواكب والملائكة والأنبياء والصالحون وقبورهم، وهذا كله من أعظم الشرك والضلال والقياس الفاسد.

(١) في المطبوع: «قلَّة معروفه» والتصحيح من المخطوطتين.

فإنَّ اللّه بكلِّ شيء عليم، وهو سميع بصير بكل شيء، ليس بمنزلة الملِك الذي لا يعلم إلا ما أُنهي إليه، ولا يسمع ولا يبصر أكثر أمور رعيته.

وأيضًا فإنَّ اللّه على كل شيء قدير ولا يحتاج أن يستعين بالأعوان على إجابة الداعي كما يحتاج الملك.

وأيضًا فإن اللّه قريب إلى عباده كما قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة ١٨٦]، وهو رحيم بعباده، رؤوف بهم، مع أنه هو الجبار المتكبر المتعالي بالحق، ليس كالملوك الجبارين المتكبرين بالباطل على بني جنسهم ومن هو مثلهم، حتى لا يسمعوا كلامه ولا يرحموه، وحتى يزدروا الضعيف والفقير، فهذا الإشراك في ربوبية اللّه وإلهيته والاستكبار والاختيال الموجود في العباد كله منافٍ لدين الإسلام الذي بَعث اللّه به رسوله وأنزل به كتبه، وكلا النوعين يتضمن من تعظيم الخلق وجعلهم أندادًا للّه ومن التفريط في جنب اللّه، وتضييع حقوقه، ما هو من أعظم الجهل والظلم.

وأصل هذه المقالات توجد في مقالات المشركين، ومن دخل في الشرك من الصابئين وأهل الكتاب، وهو في الغالية من هذه الأمة كغالية الرافضة وغالية المتصوفة ونحو هؤلاء، وأما الدقيق منه فهو كثير كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف]، لاسيَّما شرك العمل والحال، وإن لم يكن العبد مشركًا في مقاله وما يقترن بذلك من الخيلاء والكبر وقد بسطنا الكلام على هذا في غير هذا الموضع»[(١)].

(١) «بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية» ٥٨٩/٦ ـ ٦١١. =

.....

= وانظر ما أشار إليه شيخ الإسلام من اقتران الشرك بالكبر: «مجموع الفتاوى» ٦٢٣/٧، ١٩٦/١٠، ٣٣٠/١٨، و«جامع المسائل» ٢٢٣/٦، و«الرد على الشاذلي في حزبيه وما صنفه في آداب الطريق» ٢٥٦/١.

وكان هذا آخر ما تيسر من التقديم والتعليق على هذا الفصل النفيس، والحمد للّه الذي بنعمته تتم الصالحات.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٧
بعض الشخصيات المعاصرة التي روجت هذه العبارة	٧
لا يصح إطلاق لفظ الشهيد على أحد إلا بنص	٧
فكرة الخلافة مأخوذة من نظرية الحلول والاتحاد	٨
الغاية من خلق الخلق عند الحركيين	٩
الأركان الأربعة وسائل وليست مقاصد عند الحركيين	٩
العبادة مطلوبة من المسلم في كل وقت	١٠
فائدة في تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾ ..	١١
بعض العلماء المعاصرين الذين كتبوا في رد هذه العبارة	١٢
ديدن شيخ الإسلام في بحث المسائل العقدية وربطها بالتوحيد والتعبد	١٣
تمهيد	١٥
كيف شاعت وانتشرت هذه العبارة بين المعاصرين	١٥
نموذجان أحدهما من العلماء والآخر من الدعاة	١٦
الرد على حازم صلاح أبو إسماعيل في تحريفه للغاية من الخلق ...	١٧
عمدة من ذهب إلى جواز هذه العبارة	١٩
فصل في نبذ من كلام العلماء في المراد من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾	٢٠

الموضوع	الصفحة
بيان ورد مطول من الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ	٢٤
تفصيل مهم لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ	٢٩
فائدة في سؤال الملائكة: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾	٣٤
خلق اللّه الإنسان وخلق نفسه متحركة بالطبع حركةً لا بد فيها من الشر لحكمة	٣٥
فصل في الرد على من زعم أن الإنسان خليفة عن اللّه تعالى	٣٨
المراد من كون آدم وداود والآدميين خلائف	٣٨
اللّه سبحانه يوصف بأنَّه خليفة وبأنه خلَفٌ من غيره	٤٠
الخليفة لا يكون إلا مع تغيُّب المستخلف لا مع شهوده	٤١
الإنسان إمَّا أن يكون عند اللّه عاملًا بطاعته وطاعة رسوله أو لا يكون	٤٢
كلَّ من خلَف غيره في شيء فإنَّه يكون مُعينًا له فيما يعجز عنه المخلوف	٤٣
يُتخيَّل أن يكون خليفة عن اللّه ونائب عنه من يكون جبارًا منازعًا للّه في كبريائه وعظمته	٤٣
الخليفة عن غيره يأمر وينهى ويفعل أمورًا لم يدرِ بها المستخلف ولم يقدر عليها ولا يكون أمر بها ونهى	٤٤
أعظم الخلق منزلةً عند اللّه هم رسله، والرسل إنَّما هم مبلِّغون أمره ونهيه	٤٥
لو قال: (نائب رسول اللّه ﷺ أو خليفة رسول اللّه) لكان هذا صحيحًا	٤٦
إيتاء اللّه للعبد الملكَ والسلطان والمال، لا يقتضي أن ذلك إكرام منه له ومحبة	٤٨
نظير هذا الإشراك ما يوجد في كثير من الناس المشركين من تشبيههم لمسألة اللّه ودعائه وعبادته بمسألة الملوك	٤٩

الموضوع	الصفحة
أصل هذه المقالات توجد في مقالات المشركين، ومن دخل في الشرك من الصابئين وأهل الكتاب	٥٠